

الثلاثاء 13-07-2010

1046-العلاج الجمعي: شعراً

[ظاهرة "التناص" بين البشر]

(فروض قبل قراءة اللعبة)

نص اللعبة:

أنا معاك(ى) يا فلان(ة) حتى لو.....

أنا خايف(ة) أكون معاك(ى) يا فلان(ة) بحق وحقيقى

خسن.....

كنت قد وعدت بقراءة (شرح/تفسير) الاستجابات التي نشرناها للمشاركين في هذه اللعبة من المرضى والمعالجين، ثم من مجموعة التدريب، ثم من أصدقاء الموقع، إلا أنني وجدت صعوبة بالغة (وتشويها محتملا) ففضلت التأجيل إلى أن أناقش قضية قبيلية وردت إلى أثناء كتابة المسودة على الوجه التالي:

الكتابة في موضوع العلاقات البشرية أمر بالغ التعقيد، مقارنة بالممارسة الفعل.

كلما حضرت جلسة من جلسات العلاج الجمعي صباح الأربعاء، في قصر العيني، مع ناس بعضهم لا يقرأ ولا يكتب، والبعض الآخر يكاد يقرأ، وربما يكتب مضطرا، أقول كلما حضرت جلسة واحدة (ساعة ونصف إلا خمسة) وصلتني معلومات وحقائق عن العلاقات البشرية، أكاد أجزم أنني عاجز عن أن أقلبها حروفا وكلمات وحمل مكتوبة.

حاولت أن أسجل ما يجرى في كلمات، وسجلت بالصوت والصورة، واقتطفت ألعابا وسيكودراما، ولكنني أترف أنني غير راض عن كل أو أغلب ما قدمت في هذه النشرات لأبلغ ما وصلني من خيرتي في هذا العلاج، نتيجة لصعوبة شرحه بالألفاظ،

دعوني أقتطف من حوار باكر (منذ ثلاثة سنوات) مع الابن د. كريم محمد شوقي عجز الكلمة عن الإحاطة بما يجرى:

نشرة : 9-11-2007: حوار بريد الجمعة

د. كريم محمد شوقي:

يبدوا أن الواحد لازم يقفل على نفسه ويقعد يقرأ عشر سنين متواصلة عشان يعرف يجاريك أستاذي.

د. يحيى:

ليس هكذا تماما، (مش قوى كده)! أنا لو قرأت مليون صفحة لا يمكن أن أصل إلى ما وصلت إليه من خلال قراءة النص البشري لمريض واحد، متجادلا مع نصي البشري الذاتي، كنت دائما أنصح طليقي تحت التدريب أقول لهم إن رحلة سنوات مع مريض فصامي واحد سوف تعلمك كل الأمراض، وربما كل البشر وكل الحياة.

هذا وقد تكرر ذكر تعبير "النص البشري" وخاصة في حواراتي مع الابن د. جمال التركي حين عبرت مرارا عن أن العلاج هو نقد النص البشري (أى إعادة تشكيله)، ولكن بمشاركة النص نفسه، (د.جمال التركي نشرة: 2008/5/16).

صعوبة الكتابة عن عمق وحقيقة التواصل تجلت أكثر حين حاولت شرح ديوان "أغوار النفس" كي أوصل تقديم بعض "فقه العلاقات البشرية" كل أربعاء منذ حوالي عام، وقد أكدت على ذلك مثلا في قراءة لعيون تشكيل "دراكيولا" نشرة 2009/8/26 قائلا: (شرحا لفكرة نقد النص البشري) ما يلي:

"منذ اكتشفت أن ما أمارسه في العلاج عامة، وفي العلاج النفسي خاصة هو نوع من النقد، وأنا مطمئن إلى ما وصلني، ربما لأنني أمارس نقد النص الأدبي من قديم، ولكن لأنني أعرف أن النقد الحقيقي هو إعادة تشكيل النص، فقد ترددت طويلا قبل الفرحة بفرحتي باكتشاف هذا المصطلح الذي يعبر فعلا عن ما أمارسه، لأن المريض ليس مجال تشكيل من ناحيتي أساسا، أو أولا.

رويدا رويدا، وأنا أراجع ما أفعله مع مرضاي، خاصة في العلاج الجمعي، اكتشفت أن نقد النص البشري (المريض) يختلف عن نقد النص الأدبي في أن المريض نفسه يشارك في عملية النقد، وأن الطبيب نفسه هو نص بشري آخر، وبالتالي فلا بد أن يكون عرضة للنقد من الطرفين طول الوقت.

بهذا عدت للتصالح مع المصطلح الجديد، وتمنيت أن أضيف كلمة واحدة له هي "معا"، "أى نقد النص البشري معا"، ومن ثم إعادة التشكيل هي واردة لكل النضين طول الوقت".

سألت نفسي وأنا أوصل كتابة شرح متن ديوان "أغوار النفس": لماذا أجد هذه العملية ثقيلة وأحيانا سخيفة ومشوهة للنص الشعري، في حين أنها لم تكن كذلك وأنا أكتبها شعرا؟ فإذا بي اكتشف اليوم فجأة، أن العلاج الجمعي ليس إلا "ذلك الشعر الآخر".

الشعر أرقى أنواع الكتابة، لأنه يخلق اللغة وهو يستعملها ولا يحبس الواقع (الحقائق) داخل رموزها، وثمة كتابة ليست شعرا هي الشعر نفسه.

حين عشت الخبرة التي أفرزت ديوان "أغوار النفس" قلت وأنا أعتذر للعربية الفصحى.

"أصل الخدوته المرادى كان كلها حس، والحس طلع لي بالعامى بالبلدى الخلو، والقلم استعجل مالخمش يترجم لتفوته أيها همسة أو لمسة أو فتوته حس".

وهكذا كتبت المتن الشعري بالعامية فاحتوى التجربة،

ثم حين تجاسرت وكتبت شرحا على هذا المتن منذ حوالى سنة، كل أربعاء، في محاولة أن أقدم ما وصلني في هذه التجربة بطريقة تساعد من يمارس العلاج النفسى على فهم عمق العلاقات بيننا وهى تكشف عن ما أسميته "فقه العلاقات البشرية" لم أجد (تقريبا) وربما شوهدت المتن (لست متأكدا)،

إذن فالشعر هو الأقدر على استيعاب هذه الخبرات المكثفة المتداخلة عبر اللغة وليس فقط باللغة/الكلام،

وهذا الذى يجرى في العلاج الجمعى هو حوار وعى بشرى، بل مستويات وعى متعددة مع مستويات وعى أخرى، وليس مجرد نقاش بالكلمات، ولا تفريغ بالألفاظ.

هنا نقف لنتساءل: كيف يكون العلاج الجمعى شعراً، وأيضا نقدا شعريا تقريبا؟

دعوني استعمل تعبير "فعل الشعر" بدلا من الشعر، لأننى أرى أن الشعر بالذات يؤكد على وظيفة أخرى للغة هى "التمثيل" Representation وليس فقط "التواصل"،

هذا التمثيل إذا تحرك بطلاقة الإبداع يصبح تشكيلا جديدا يحى اللغة: فهو الشعر.

لكن ثم تشويه قد يلحق تفسيرا ما يجرى من حركية وعى المشاركين إذا حاولنا شرحه بكتابة مرسلة.

البداية:

بداية سلسلة الفروض التى حضرتني هى أن: العلاج الجمعى هو فعل الشعر.

فما هو الشعر الذى أعنيه وما هو فعل الشعر؟

مازلت أذكر مقدمة صلاح عبد الصبور، تساءل فيها عن الشعر هل هو "حالة أم حلية أم أسلوب"، وأذكر أنه انتهى إلى أنه "حالة"، وقد فهمت الآن ماذا كان يقصد صلاح بكلمة "حالة"

نحن نبدأ جلسة العلاج الجمعى بسؤال "مين اللى عايز يشتغل؟" و فى البداية يفهم أغلب المشاركين إن لم يكونوا كلهم أن السؤال مرادف لـ "مين اللى عايز يتكلم"، وعادة ننبه إلى رفض هذا الترادف، ونحاول أن نحدد الأمور منذ البداية ونحن نؤكد الفرق بين "الشغل" و"الكلام"، والذى

يساعدنا تماما في ذلك هو الالتزام بقاعدة "هنا - الآن & أنا وانت" (أنا وانت & هنا ودلوقتي)، وبالتدرج يصبح الكلام هو مجرد وسيلة لتحريك "الشغل"

وهكذا نعيش في حالة "معاً": وعى مقابل وعى ووعى وعى وعى "معاً" (انظر نص اللعبة)

- إذا كان الشعر حالة كما يقول عبد الصبور
فالعلاج الجمعي حالة .

وإذا كان الشعر تحريكاً للوعي بأدوات اللغة المتاحة لتصبح تشكيلاً لغوياً جديداً قادراً على إبلاغ رسالة التواصل والإحراز، فإن العلاج، وهو ما سميت به "نقد النص البشري"، (وأضفت إليه الآن بمناسبة الحديث عن العلاج الجمعي: "معاً") هو "ذلك الشعري الآخر": ممارسة حية بأكثر من الألفاظ .

وبعد

اضطرت أن أرجع لمفاهيم نقدية أساسية لعلها تساعدني على فهم العلاج الجمعي شعراً، من منطلق كيف أنه قصيدة جماعية تتشكل معنا معاً،

رجعت إلى قضية في النقد الأدبي اضطرت لاعادة قراءتها بمناسبة رواية جيدة للصديق د. زكي سالم (حكيم) نشرت لمحات عنها في بريد الجمعة الماضي، هذه القضية النقدية هي آلية التناص، وفوجئت بهذه التسلسلات تسرى فروضاً لتفسير ما يجري في العلاج الجمعي هكذا:

الفروض:

أولاً: الكيان الإنساني نص بشري سواء كان مريضاً أو معالجا .

ثانياً: العلاج عامة والعلاج النفسي خاصة يبدأ بقراءة هذا النص قراءة إبداعية للتعرف على ماهيته أولاً.

ثالثاً: العلاج هو إعادة تشكيل هذا النص بمشاركة النص نفسه، هذا بالنسبة للمعالج ناقداً نصاً، وللمريض نصاً فناقداً (في العلاج الفردي) .

رابعاً: العلاج الجمعي هو قراءة وإعادة تشكيل عدد من النصوص معاً .

خامساً: يبدأ إعادة التشكيل بتعنتة النصوص المجتمعة معاً ليتكون منها "الوعي الجمعي الضام" .

سادساً: حركية النصوص معاً، تتفاعل في حيوية المواجهة، وهذا هو ما يقابل الظاهرة النقدية التي تسمى "التناص" .

سابعاً: وعلى ذلك: العلاج كعملية قراءة فنقد (إعادة تشكيل النص البشري) تقابل عملية التناص في النقد الأدبي.

و بعد

أعلم أن هذا الفرض لن يلقي قبولا لا من الأطباء النفسيين ولا من النقاد، لكن دعوى أعترف أنني لم أجد مدخلا لتقدم ما يجرى في تلاقى هذه النصوص البشرية هكذا أقرب إلى تقدم ما أريد إلا هذه الظاهرة المسماة "التناس"

تمهيدا لما يأتي بعد:

دعوى أكتفى الآن بتقديم بعض ملامح هذه الظاهرة "التناس"، وهي التي سوف أتناولها في حلقة قادمة وبالذات من خلال قراءة "جدارية محمود درويش" ربما يساعدنا ذلك في توضيح أهمية هذا القياس مقارنة بما يجرى في العلاج الجمعي:

1- أوضح الدكتور محمد بنيس أن الشعرية العربية القديمة قد فطنت لعلاقة النص بغيره من النصوص منذ الجاهلية وضرب مثلاً للمقدمة الطللية، والتي تعكس "قراءة أولية لعلاقة النصوص ببعضها وللتداخل النصي بينها"

- أليس هذا هو ما يجرى بين "النصوص البشرية" في العلاج الجمعي؟

2- التناس هو: "اعتماد نص من النصوص على غيره من النصوص النثرية أو الشعرية القديمة أو المعاصرة الشفاهية أو الكتابية العربية أو الأجنبية ووجود صيغة من الصيغ العلائقية والبنوية والتركيبية والتشكيلية والأسلوبية بين النصين".

- أليس هذا هو ما يقابل أيضا تفاعلات وحوارات مستويات الوعي بين المشاركين في العلاج الجمعي؟

3- "اللحظة" تتصل على الرغم من تفردا بتيار من اللحظات الفردية المتراكمة الأخرى"، وهذا ما يسمى بتناس النصوص فالنص ابن النص، فكل نص هو إناء يحوي بشكل أو بآخر أصدا نصوص أخرى.

- أليس هذا هو ما يحدث في العلاج الجمعي بعد التعتة، فالشغل، فالواجهة، أملا في ولاف متجدد؟

4- (التناس) يتيح وقفة تأملية بين دلالتين مختلفتين تتحدان معاً في نص واحد جديد مثيرة دلالات أخرى جديدة تحمل أكثر من بصمة وأكثر من بعد . ويستقى الشاعر التناس من مصادر متباينة .

- أليس هذا هو ما يقابل إعادة تشكيل الفرد (النص البشرى) في العلاج الجمعي من خلال تجمع بصمات وعى الأفراد، (نصوص وحدات المجموعة معاً!!)

.....

.....

وإلى الحلقة القادمة مع العلاج الجمعي و"جدارية محمود درويش" أرجو أن تقبلوا اعتذاري .